هل الملاحدة هم الأذكياء؟

تروج كتابات الملاحدة دائمًا أن الملحدين هم الصفوة الفكرية في المجتمعات، وأنهم يحصلون على معدلات عالمية في اختبارات الذكاء، وأن متوسط معدلاتهم أعلى من متوسط معدلات المتدينين، ويدَّعون كذلك أن الشخص كلما ارتقى في سلم التعليم كلما كان أكثر ميلًا للإلحاد، ويدعم الملاحدة دعاويهم تلك بقوائم تحمل أسماء علماء كبار ينسبونهم إلى الإلحاد.

فهل هذه الادعاءات صحيحة؟

الحقيقة أن في المقابل لهذه الدراسات هناك دراسات أخرى عديدة تؤكد عكس ذلك.

كذلك فإن هناك قوائم أخري بأسماء علماء متدينين تشمل معظم العلماء الفطاحل الذين قامت على أكتافهم علوم الفيزياء والكيمياء الكلاسيكية وأيضًا علماء الفيزياء الحديثة – الكوانتم – الذين حصل معظمهم على جوائز نوبل وكذلك العلماء الفطاحل الذين تأسست على جهودهم علوم المخ والأعصاب ومعظمهم أيضًا حصلوا على جوائز نوبل.

الملاحدة واختبارات الذكاء:

يحتاج ما يشاع من أن الملاحدة يسجلون درجات أعلى في اختبارات الذكاء إلى وقفة تبين مدى حجية هذه الاختبارات في قياس قدرات الإنسان العقلية.

تتبنى دائرة معارف الاضطرابات العقلية أن اختبارات الذكاء تعجز عن قياس الذكاء الحقيقي للشخص، وتستشهد دائرة المعارف على ذلك بأن أكثر اختبارات الذكاء مصداقية يقوم على عدد من العوامل أهمها: استخدام

اللغة - التفكير المجرد -الملكات الرياضية - التصور المكاني - قدرات القراءة -الثروة اللغوية - المعلومات العامة - الذاكرة - وهذه هي المهارات المطلوبة للتفوق الدراسي وفي نفس الوقت يعجز هذا الاختبار عن قياس مهارات أخرى غير ملموسة مثل: المهارات الاجتماعية -المزاج - الانضباط - الرغبة في النجاح - عمق المعلومات - الإبداع - وهذه المهارات هي الأكثر أهمية بخصوص الإيمان بالإله.

ومما يعيق الملاحدة في الحصول على نتائج عالية في اختبارات الذكاء أن هذه الاختبارات موضوعية مادية علمانية، ومن ثَم فالماديين يمكن أن يحصلوا فيها على معدلات أعلى، وفي المقابل فإن الدراسات الاجتماعية التي تعتمد على ملاحظة أنماط السلوك الاجتماعي تكون أكثر مناسبة لطبيعة المتدينين ومن ثَم يحصلوا على نتائج أعلى في هذه الدراسات.

وقد أذاع الإعلامي الأمريكي الشهير« جيم كافاناغ Jim Kavanagh في فضائية CNN نتائج دراسة تشير إلى أنه مع الارتقاء في التعليم يكون الإنسان الغربي أكثر ميلًا لأن يقول: «أنا أؤمن بقوى عليا» بدلًا من أن يقول: «أنا أؤمن بالإله « ومن ثم يحسب هؤلاء كملاحدة.

كذلك نشرت صحيفة الديلي عام٢٠١١ نتائج دراسة دقيقة جاء فيها مع تحليل نتائج استطلاع رأى قومي واسع، وجد أن الأفراد يصبحون أكثر تدينًا مع ارتقائهم في التعليم ولا شك أن عوامل عديدة للغاية تحكم ذكاء هذا الكائن غير المحدود -الإنسان -.

حرية الإرادة والاختيار

إذا كان للإلحاد أسبابه النفسية (التنشئةNurture) والشخصية بالإضافة إلى أسبابه العضوية (Nature) المنظومة البيولوجية للإيمان - التوحد) فهل يعني ذلك أن الإنسان مُسير في تبنيه الإيمان أو الإلحاد؟

يجيب بول فيتز عن هذا السؤال من خلال شخصية هتلر فيقول: «كان الكره يملأ هتلر، هذا الكره الذي وقف وراء ما أنزل بالبشرية من مصائب وإذا كان تقصير أبيه الشديد تجاهه، والإساءة إليه كطفل، قد أسهم في نشأة هذا الكره حتى إنه صار يكره نفسه فقناعتنا أن هتلر «قد اختار» أن يُنمي ما بداخله من كره بدلًا من أن يعمل على كبته أو التعامل مع ما يسببه من معاناة».

ويضيف بول فيتز: «باختصار، إن كل شخص يستطيع بإرادته الحرة واختياره أن يتوجه إلى الإله أو أن يبتعد عنه أو أن يقف ضده».

القارئ الكريم:

تعتبر دوافع الإلحاد الشخصية بمثابة منشطات النمو (كالماء والسماء) لما يلقى في التربة من بذور وتتلخص هذه المنشطات في إتباع الذات حسيًّا ونفسيًّا، فبعض هذه الدوافع تتركز في إشباع احتياجات الملحد الاجتماعية والمهنية لأن يتأقلم مع المجتمع ومع وسطه المهني، وأيضًا إشباع احتياجه لأن يحيا تبعًا لنمط معيشي مُعين.

ومن المحزن أن العديد من الرموز الفكرية للبشرية كانوا إباحيين، وكانوا أنانيين مغرورين، وأن اهتمامهم المزعوم بالإنسانية كان كذبًا ونفاقًا يختفي وراءه قدر كبير من القسوة واللامبالاة بأقرب الناس إليهم، خاصة أفراد عائلاتهم.

لذلك ليس من الغريب وجود تعارض صارخ بين النظريات الأكاديمية التي وضعها هؤلاء وبين انحرافاتهم وسوء ممارساتهم الجنسية.

كذلك صار الجنس غير التقليدي - أي ما نتعارف عليه بالشذوذ الجنسي - والحداثة « Modemism » متضافرين متداخلين دون إمكانية للانفصال للأبد، بل ويسعى كثير من هؤلاء لتحطيم كل صاحب فضيلة، وتروج كتابات هؤلاء دائمًا أن الملحدين هم الصفوة الفكرية في المجتمعات، وأنهم يحصلون على معدلات عالمية في اختبارات الذكاء؛ لذلك أصبحت كتب علم النفس والسير الشخصية ملأى بمواقف الكثيرين من كبار وصغار الملاحدة التي تكشف ذلك، فنجد الملحد يعلن إلحاده على الملأ ليحقق الشهرة ليشعر بذاتيته وتميزه، وصدقت المقولة: «بأن الملحد يحتاج لعدو حتى يشعر بذاته».

وإذا كان للإلحاد أسبابه النفسية - التنشئة - والشخصية بالإضافة إلى أسبابه العضوية (المنظومة البيولوجية للإيمان - التوحد) فليس معنى ذلك أن الإنسان مُسير في تبينه الإيمان أو الإلحاد، بل إن كل شخص يستطيع بإراداته الحرة واختياره أن يتوجه إلى الإله أو أن يبتعد عنه أو أنه يقف ضده.